

# جدلية المكان الشخصية في روايات عبده خال

هجران جاسم محمد

أ.م.د رياض جباري شهيل

جامعة بغداد - كلية الادب قسم اللغة العربية

**Place and the characters in Abdo Khal's Novels**

**Hijran Jassim Mohammad**

**University of Baghdad - College of Arts -  
Department of Arabic Language**

**[hijran.jassem1202a@coart.uobaghdad.edu.iq](mailto:hijran.jassem1202a@coart.uobaghdad.edu.iq)**

**Asst. Prof. Riadh Jibari Shuhail (Ph.D.)**

**University of Baghdad - College of Arts -  
Department of Arabic Language**

**[riadhjbari@coart.uobaghdad.edu.iq](mailto:riadhjbari@coart.uobaghdad.edu.iq)**

The place is one of the important elements in any literary or fictional work, so a mutual relationship arises between the person and the place, each side of which affects the other and the process of vulnerability and influence takes place in the relationship between them. ; The place reflects the reality of the personality, just as the life of the characters is explained by the nature of the place to which it is associated. It influences its formation and formation in a way that suits it.

Keywords: Place, Novel. Characters

## المخلص

يشكل المكان عنصراً من العناصر المهمة في أي عمل أدبي أو روائي لذلك تنشأ بين الإنسان والمكان علاقة متبادلة، يؤثر كل طرف منها على الآخر، كذلك تتم عملية التأثر والتأثير في العلاقة بينهما، فالمكان يؤثر على الإنسان بما يرسله من شحنات تؤثر في تكوين شخصيته و هويته ؛ فالمكان يعكس حقيقة الشخصية، كما إن حياة الشخص تفسرها طبيعة المكان الذي يرتبط به؛ فتؤثر في تشكيله وتكوينه بما يناسبها. **الكلمات المفتاحية:** المكان، الشخصية ، الرواية .

**مدخل نظري:** تعد العلاقة بين المكان والشخصية من أقدم العلاقات الوجودية، تبدأ منذ نشأة الإنسان على سطح الأرض ومواجهته للعالم الحسي الخارجي وأنسجامة معه، وتفاعله والعمل على إيجاد دعائم الاستقرار والانتماء له، فالعلاقة بين المكان والإنسان هي علاقة انتماء لمكونات مادية، فالمكان يؤثر بالبشر بقدر ما هم يؤثرون به وتتضح هذه العلاقة من خلال تقديم الإنسان صورة عن المكان، فيتفاعل الإنسان مع محيطه فينتج عن هذا التفاعل كيانات اجتماعية، وثقافية، وحضارية، فالحضارات والثقافة ماهي إلا نتيجة تفاعل الإنسان مع المكان، فالمكان هو مرآة تعكس أفكار وثقافة وطبائع مجتمعه، فأختلاف الأمكنة يعني أختلاف مجتمعات وحضارات فكل شخصية تحمل طبائع المكان الذي تنتمي إليه<sup>(١)</sup>، وقد شغل موضوع تأثير المكان والشخصية معظم الدراسات كونه موضوع جوهري يؤثر في حياة المجتمع وتطوره فقدمت فيه دراسات فلسفية ونفسية واجتماعية زيادة على دراسات طاقة المكان وتأثيرها على الإنسان أما على الصعيد الروائي فتعد هذه العلاقة من أبرز العلاقات السردية، إذ أنها تقوم بين عنصرين مهمين في السرد، فالمكان هو الحاضن للعملية السردية وهيكلها البنائي، أما الشخصية فهي أحد أعمدة النص الروائي، وهي القناع الذي يختبئ خلفه الروائي ومن خلاله يعكس الواقع المعاش وينفقه، وقد عدها النقاد المحرك الأساسي في السرد لإرتباطها الوثيق بالمكان والزمان، فهي القطب الذي تتمحور حوله العناصر السردية الأخرى إذ يرى (الدوين موير) بأنها "العنصر الذي تتقاطع عنده العناصر الشكلية كافة بما فيها الزمن والمكان الضروريان لنمو الخطاب الروائي وأطراده"<sup>(٢)</sup>، وعدها عبد الملك مرتاض بأنها الوظيفة الرئيسية في السرد " كل العناصر تتحرك لأجلها وحولها فلا يمكن الزمن إلا بها ومعها، والحيز حيز إلا بها لأنها تحتويه وتقدر لغاياتها، واللغة في خدمتها، أما الحدث فلا يكون إلا بتأثيرها"<sup>(٣)</sup>، وقد حازت العلاقة ما بين الشخصية والمكان على أهتمام الروائيين والنقاد كونها علاقة جوهريّة تؤثر على مجرى الأحداث داخل السرد، وخاصة بعد تطور الرواية. تتحى العلاقة ما بين المكان والشخصية في منحيين، فمنحى يذهب إلى تأثير وتماهي المكان مع الشخصية فيرتبط بها ارتباطاً عضوياً وثيقاً، إذ يعمل المكان على عكس بواطن الشخصية والمشاعر التي تنشأ بين الإنسان ومحيطه ، ولأستطيع الشخصية التحرر من هيمنة وسلطة المكان فلا يمكنها التحرك في فراغ ، ويعتبر المكان هنا عنصراً فاعلاً في السرد هذا من جهة ، ومن جهة أخرى تؤثر الشخصية في تغيير وتشكيل المكان وصياغته بما يتناسب مع حاجاتها، وقد أستطاع الروائي عبده خال في جعل المكان عنصراً مهماً في تكوين الشخصية بطريقة فنية أضفت على المكان بعد جمالي وأبرزت أهميته ، وأبرزت أيضاً سلطة الشخصية في تشكيل المكان وتأطيره، ولذا سنحاول دراسة هذه العلاقة من خلال هذين المنحيين .

-**تأثير المكان على الشخصية:** يؤثر المكان على الشخصية بما يمليه من أسلوب حياة عليها إذ يختلف تبعاً لاختلاف المكان، فشخصية الريف تختلف عن شخصية المدينة، والشخصية الجبلية تختلف عن شخصيات التي تسكن المدينة والقرية، فكل شخصية لها فضاءها الخاص بها وطريقة عيشها ومجتمعها التي تطبعها بالشخصية فتظهر من خلال سلوكها، ويعمل الروائي على أن يوازن ما بين رسم الشخصية ومحيطها في جعل كل منهما مناسباً للآخر، فلكل مكان الشخصية التي تناسبه وتتناسب حواراته ومواضيعه لأنها تختلف تبعاً لاختلاف المكان، ويرى يوري لوتمان أن تطور علاقة الإنسان ومعايشته للمكان، والتطبع بأثاره، وصفاته، جعلت العلاقة خارج سيطرة الإنسان وشعوره، أي أن صفات المكان تظهر على الإنسان بطريقة الاوعي، بفعل تغلغل المكان داخل بواطن الشخصية<sup>(٤)</sup>، وأن علاقة الشخصيات مع المكان متذبذبة تتأرجح ما بين النفور والانتماء، فالشخصية في لحظات سعادتها تتألف مع المكان وفي لحظات البؤس تنفر منه، وقد أكد باشلار في دراسة المكان على الحالة النفسية والشعورية، وحاول تحديد الأسباب التي تدفع الشخصية للاتصاق بمكان ما وكرهه لمكان آخر<sup>(٥)</sup>، فالعلاقة

ما بين الشخصية والمكان غير خاضعة لمعيار واحد، وليست ثابتة على مستوى واحد، أما خاضعة لميزان التغير، حيث يلعب الوضع الاجتماعي والثقافي والنفسي دوراً هاماً في هذه العلاقة، أما تتصاعد لتصل إلى درجة التماهي والحميمية مع المكان، أو تتخفف لتصل إلى درجة النفور، فالحالة النفسية والشعورية للشخصية تكون السبب الأول في تغير العلاقة فالعلاقة في حالة تذبذب ما بين التجاذب والنفور<sup>(٦)</sup>، وقد وظف الروائي عبده خال بعض الأماكن في جعلها أليفة حميمة مع الشخصيات، أي "تُشعر الشخصية المتعايشة فيه بالدفء والألفة حيث تمارس أفعالها دون خوف من الخارج"<sup>(٧)</sup>، ففي رواية (الموت يمر من هنا) جعله من بيت ولي مكان حميم بالنسبة لشخصية درويش بعد لقائه ليلي وأعجابه بها، " هنا في بيت ولي بدأت أشعر بتدفق خدر لذيذ في أرض قلبي الجذباء وأزهرت الحياة في عيني المغبرتين وتسلى إلى أعماقي طعم محبب لأن أعيش، فتخلبت كثيراً عن تدمري وأخذت فرحة طفولية تداخلني وتحيلني إلى إنسان انقشع عن جلده القديم وأقبل على الحياة منتشياً غارقاً في موجة من الأحلام الدافئة"<sup>(٨)</sup>، فقد أثر المكان فيه نفسياً، فولد لديه أحساس عميق بالحياة فتحوّلت على أثره شخصية درويش من شخصية بائسة تنظر إلى الحياة بنظرة سوداوية، إلى شخصية متعائلة تحب الحياة وتسعى للعيش والحفاظ على نفسها، وأن مثل هكذا ألفة لا تتم بين الإنسان والمكان المجرد، بل تتجم هذه الألفة عن البشر الذين يقطنون المكان<sup>(٩)</sup>، ونلاحظ هذا التحول من خلال قول السارد، "مساء متهالك وخوف كثيف يتصبب في الفؤاد. وأنا أسلك الطريق الضيق المؤدي إلى الوادي وأحاول جاهداً أن أكنم وجيب هذا القلب. لأول مرة يداهمني هذا الخوف المرعب.. أشعر أنني حريص على هذه الحياة أكثر من أي وقت مضى وأكثر حرصاً على العودة للعمل في بيت (ولي) .. ولو من أجل عينها."<sup>(١٠)</sup>، نلاحظ من خلال هذا المقطع السردى أثر المكان على شخصية درويش، فقد ولد الطريق الموحش الرعب في نفسه وهذا ما لم يألفه من قبل، وذلك بعد دخوله بيت ولي وتأثير المكان عليه بتحول شخصيه نجد تأثير المكان على شخصية يحيى في رواية (مدن تأكل العشب) فبعد تعرفه على مجموعة من الشباب الموالين لجمال عبد الناصر، ومنددين بالعبودية، ومؤيدين للتحرر من كل القيود، فقد أثر تواجدهم على شخصية يحيى من الجانب النفسي حيث أصبح منسجماً مع عمله أكثر من قبل، "كنت منسجماً مع عملي الذي يبدأ مع الغروب إلى ما بعد منتصف الليل بقليل، فيشع المكان بهجة وتنتال الضحكات صافية ريانة، بينما تجلس مجموعة من الشباب في ركن منعزل من المقهى يديرون أحاديثهم بصمت، وفي أحيان كثيرة يحتد جدلهم وينتهي بإسكات بعضهم بعضاً"<sup>(١١)</sup>، كما ساعدته مرافقته للشباب على تغير شخصيته وطريقة تفكيره ومعرفته للأمور التي كان يجهلها من خلال تحفيزه على القراءة والإطلاع، فساعده أحد الشباب أعارته بعض الكتب التي تزيد من أطلاعه ومعرفته وتقديمه للمجموعة حتى أصبح واحداً منهم " وأسر لهم بقراءتي لعدة كتب أعارني أياها، فنهضوا لمصافحتي. وحين عرفوا بحماسي الشديد لكلماتهم التي كانوا يدسونها في آذان بعضهم زاد تقديري لديهم وإن ظل حسن متحفظاً معي"<sup>(١٢)</sup>، فقد أثر المكان في تغير شخصية يحيى من الناحية الثقافية، والسياسية فقد أصبح شخصية مدركة لاستلابها فقد أصبح أكثر وعياً لحال الاستلاب الذي افضت إليه السلطة<sup>(١٣)</sup>، فقد ساعده المكان في تطوير شخصيته وأدراكه، كما أثرت المدينة في تغير شخصية طاهر الوصابي، " دفعنتي قريتي للمدينة كي يسيل دمي، وإذا جاء أحد منهم إلى هنا كان من معانيق المدينة لذلك عجن نفسه بماء المدينة، وانسلخ عن قبيلته، دفناً عاداتها وتقاليدها في داخله، أصطك لهجة مغايرة وانتمى للمدينة ونسى كل التفاصيل التي يمكن أن تعيده لقرية"<sup>(١٤)</sup>، لقد كشف المقطع السردى عن أثر المكان في تغير الشخصية الريفية بصورة عامة، وشخصية طاهر بصورة خاصة فقد أثرت في تغير معتقداته وافكاره وحتى لهجته لكي يندمج بالفضاء الذي يحيطه، فقد اتكأ الروائي في هذا المقطع السردى على قضية اجتماعية مهمة وهي هجرة الريفين للمدينة من أجل العمل التي تسبب بتغير الشخصيات وطمس الهوية. وظف الروائي المكان المتحرك في التأثير بدواخل شخصية يحيى، "كانت السيارة تهتز في سيرها المتكاسل ومحركها يئز برتابة وذكريتي تسبقني بالالتقاء بالأحبة. وحسرة مرة تجري بالبال. كل شيء هناك ألمح يقترب من أهلامي: قريتي وحقولها المتعبدة ووجه أمي وشغب إخوتي وغنمتي الوحيدة، وفرحة الأعياد، وغناء الجمالة والمجلاب وسوق الحواتة. كل شيء ألمح يدنو. لم اكن فرحاً بالعودة كما كنت أتوقع، فقد قتل تلك الفرحة خوف تمدد بين الضلوع، وحسرة أن أعود فارغ اليدين"<sup>(١٥)</sup>، كشف هذا المقطع السردى عن أثر الحافة على نفسية يحيى بأن تشعل بداخله مشاعر مختلفة، فموقفه المترقب للمجهول، أشعلت عنده مشاعر فرح بملاقات أهله ممزوجة بخوف؛ بعدم العثور عليهم بسبب ما يسمعه من أخبار الحرب، فكانت مخيلته تسابقه للوصول للقرية فقد استرجع ذكرياته الفرحة، إلا أن الخوف من الحرب كان يدنو منه.

أثر المكان على تغير شخصية عبدالله في رواية (الأيام لا تخبئ أحدا) فقد تغيرت نحو الأسوء بعد دخوله السجن، " عرف عبدالله الفيسيبي طريق السجن ولم يمضي وقت يسير حتى يعو إلى زاوية السجن الكبير وكلما خرج غلد بعقوبة أفدح من سابقتها، (...) لم يعد يذكر أحد أسمه فإذا خرج يوماً غاب شهوراً وامتد غيابه لسنوات، ومع لقيه الجديد لم يعد أحمد يذكر عائلة الفيسيبي (...) وفي إحدى خرجاته اكتسب اسماً

جديداً بسبب تلك الحياة الاي نفرت من ساعده، ونسي الناس اسم عبد الله الفسيني ذاكرين لقبه (أبا حية) بشئ من الخوف والنفور<sup>(١٦)</sup>، من خلال هذا المقطع السردي يوضح لنا السارد أثر السجن تغيير سلوكيات وشخصية عبد الله حتى اكتسابه لقباً يناسب شخصيته وشكله الجديد، فكان للمكان أثراً في تحول الشخصية الجيدة إلى سيئة، كما ساعدت الظروف التي مرت بعبد الله لكي يكتسب هكذا شخصية تتماشى مع الفضاء الخارجي، وأحياناً نجد الروائي يشكل المكان على غير ما هو مألوف عليه أو كما يسمى (تغريب المكان) ، هو أن يكون المكان مضاد لما مألوف له بشكل مغاير لما يألفه القارئ ومعتاد عليه<sup>(١٧)</sup>، فقد وظف الروائي من السجن فضاءً مغايراً لما نألفه ، فجعل من السجن مكاناً أليفاً لعبد الله في رواية (الأيام لاخبئ احداً) ،"في بدايات دخوله السجن كان يتوق للخروج منه بأي صورة وعندما أدمن النوم على أرضية الزنازن أصبح منبوذاً ليس له قلب يجاوره ويخفف من لوعته فيحن للعودة ويفتعل أي شجار ليعود من حيث أتى فبعد الحريق الذي أكل جزءاً من حياته كانت الحياة أقل ضراوة مما هي عليه الآن في جوار أبي شايب وأبي مريم ومها تلك الزهرة التي قطفت من حوض عمره فغدا صحراء جرداء تصل بحرارتها أحشاءه"<sup>(١٨)</sup>، حيث شكل الخارج مكاناً معادياً للشخصية بسبب طبيعة المجتمعات العربية المنغلقة، في حين شكل السجن مكاناً ارحب وأوسع، مكاناً آمناً للشخصية، وبالرغم من أن السجن يعرف بأنه مكاناً معادياً، إلا أنه مثل مكان التواصل والاندماج مع الآخرين بعيداً عن الوحدة التي ولدها الخارج، و محاولة لتعويضه عن عائلته التي فقدها بسبب الحريق، في هذا المعنى ينبع مفهوم الروائي للمكان الذي يستطيع أن يشعر فيه الفرد بأنه فرداً من مجموعة بشرية يرتبط بها ، ولتكن ما تكون عليه المسميات الأخرى<sup>(١٩)</sup>، حيث أصبح السجن مكان أليف يأوي إليه عبد الله أو كما لقب ب (ابو حية) وذلك بسبب نظرة المجتمع عليه بأنه اقل منهم بسبب دخوله السجن، وابتعاد الناس عنه.وظف الروائي المكان المقدس في التأثير بحياة شخصيات بعض رواياته، ففي رواية (فسوق) جعل من مكة المكرمة تأثيراً في حياة محسن الوهيب، "في ضحى يوم قانض ،حمل إلى الحرم وقذف هناك ،فتعلق بستائر الكعبة لأيام طويلة ، وعاش مع حمام الحرم .كان يجتث كل يوم شيئاً من صدره ويوزعه على أجنحة الحمام الملثف حوله . يؤدي هذه الحركة المسرحية يومياً تحت مزارب الكعبة ، داعياً الله أن يطير عشقه من بين جوانحه كالحمام المحلق على بيته ، وأن يمحو عشقه لجليلة كما يمحو خطايا الطائفين بحرمه .ولم يعد من مكة إلا متزوجاً و وديعاً كحمام الحرم المكي ،يرف بجناحيه في كل مكان بدعة واستسلام"<sup>(٢٠)</sup>، يكشف لنا المقطع السردي عن أثر مكة في تحول شخصية محسن ،وذلك بعد موت حبيبته جليلة وحرزها عليها والتزامه في مكان مومتها حتى أنبرى جسده وأصبح كأنه جثة هامدة، أخذه عمه لمكة فساعدته في الخروج من حالته، فاككتت روحه بشئ من السلام والطمأنينة التي استمدها من الحرم، حيث أصبح كحمامات الحرم . كذلك نجد أثر المسجد النبوي على شخصية ( وحي...د) في رواية (أنفس)، "اتخذت زاوية من صحن المسجد النبوي مقاماً، فترطبت خشوعاً. فغدا قلبي أشرعة تيمم نحو الآخرة، راغباً في تقبيل صاحب القبر . يوماً اتعلق بالشبك الذهبي وأذرف دمع الفرقة والضياع"<sup>(٢١)</sup>، يوضح لنا السارد أثر المكان وما تحمله من أجواء روحانية ملأت قلبه خشوعاً وطمأنينة، جعلته يتخذ منه مكاناً، للدعاء بعد الضياع الذي عاناه بالتثقل من مكان لآخر مع قدار، فقد أثر المكان على الشخصية بما انزله عليها من طمأنينة .كذلك أثر المسجد المكان المقدس للعبادة على شخصية فيصل في رواية ( صدفة ليل ) فبعد وفاة صديقه جمال،"منذ أن صعدت روح جمال إلى بارئها توجه فيصل إلى المسجد تائباً مستغفراً ومتحرراً من أفعال كثيرة كان يقترفها من غير الشعور بذنب أو لوم . وعندما وجد نفسه سائراً في دروب الهداية رغب في جذب الذين يجهم للسير في نفس الطريق"<sup>(٢٢)</sup>، فمن خلال المقطع السردي يتضح التغيير الحاصل في شخصية فيصل، فقد أصبح شخصية ملتزمة بالمسجد بعد أن كان فتى طائش يلهوا بملذات الدنيا، إلى فتى ملتزم الصلاة والمسجد حتى أنه أصبح شيخ الجامع، فتغيرت حياته تغيراً تاماً .قد تتحول الاماكن في بعض الأحيان من أماكن أليفة إلى معادية، تبعاً لتغيير منظور الشخصية للمكان، وما يطرأ عليها من آثار نفسية، ويشر الدكتور شجاع مسلم العاني على أن المكان الأليف قد يتحول إلى معادي، حينما يكون ضيق لا يسع لأغراض الشخصية وطموحها، حيث يتحول المكان الى قيود تحد من غايات الشخصية<sup>(٢٣)</sup>، فقد وظف الروائي هذه الخاصية في تغيير تشكل الأماكن لديه من أماكن أليفة تألفها الشخصية إلى أماكن معادية وطارده للشخصية ففي رواية (ترمي بشرر) يتحول القصر من مكان أليف إلى معادي لشخصية طارق، "للحياة داخل أسوار القصور العالية مذاق مختلف . هناك لا توجد حدود للمفاهيم ،والقيم . في كل حين ترتدي قيمة تتناسب مع اللحظة والتي يمتلكها السيد ، فكيفما يكون مزاجه تكون القيمة والمبدأ"<sup>(٢٤)</sup>، نلاحظ في هذا المقطع السردي يتحول المكان في نظر طارق بعد أن كان يسعى لدخول القصر أو كما يسميه الجنة فهو الحلم الذي طالما سعى لتحقيقه، و الذي يفترض أن يغير حياة طارق للأفضل، إلا أنه أتضح فيما بعد بأنه جهنم التي تسعر ساكنيها، ففي القصر أحس طارق بأستلاب ذاته وكل معتقداته ومبادئه، "حياة العوز أكثر قدسية مما أجد هنا ، لاشئ مقدس هنا ، كل شئ مباح ، وعندما لاتجد حدوداً لحريتك ، تبحث عن سياج ليوقف اندفاعك ، تعلمت متأخراً أن الحرية تكتسب وجودها حينما يكون هناك حواجز ، وموانع ، ومن

غير هذه الحدود ، والحوازج لامعنى للحرية<sup>(٢٥)</sup>، فشكل القصر سجن للطارق حيث أحس بأنه عبداً تحت يدي السيد يشكله كيفما يشاء ، وأن هذا الأحساس توارد عنده ليس بسبب ضيق للمكان وإنما بسبب السلطة والرقابة المفروضة عليه من سيد القصر ، ومنعه من الاختلاط مع الناس كما أنه يسير ليس كما يريد هو بل كما يريد سيد القصر ، فقد شكل المكان هنا رمز لفقدان الإنسان حريته وكرامته وتجريده من أبسط حقوقه في الأختيار فإنه مكان إغتراب الذي يتوجب على الإنسان أن لا يكون هو بس كما يريد الآخرين<sup>(٢٦)</sup>، فقد ولد هذا الضيق والتقييد لدى طارق الحنين لحياته السابقة وشعر بأنها الجنة التي فقدها وهي أكثر قدسية من حياته في القصر، فشكل القصر جهنم التي تحرق من يدخلها. أثر فضاء القصر على تغير الشكل الخارجي لشخصية عيسى، " منذ أن التقينا مؤخراً تبهت أن عيسى لم يعد نفسه الذي كان (...) مداومته على الظهور بزيه، ومشبته المفتعلة يمكنانه من الانضمام لمصاف الفتوات داخل الحي، ولم يكن يجد غضاضة في الولوج بهندامه المتواضع إلى أي مكان، متفخراً.. ) في مقدمه من القصر اكتسب أناقة، وأعوج لسانه بما يكفي لكي ينطق الكلمات كأحد النجديين الذين لم تتبلل طفولتهم في مياه البحر، أو تدعك أجسادهم بين قمائم أزقة الحفرة."<sup>(٢٧)</sup>، يبين لنا المقطع السردى تأثير المكان في تغير شكل عيسى لكي يلائم الفضاء الذي يحيطه، فقد أكتسب صفات ولهجة أصحاب القصر والنفوذ، كما أكتسب هندامهم، فقد أثر المكان في تغير حالة عيسى شكل القصر، والبيت مكاناً معادياً بالنسبة لطارق، " داخل القصر كرهت رائحتي، ورائحة السيد، و رائحة أسامة، ورائحة الضحايا، وفي مكان ما، ستكون رائحتي باعثة للبعوض، (...) مع وصولي للبيت أستشعر بالأختناق، فرائح عمتي المخلوطة، تنوس في زوايا الفيلا، وتقص الزمن حكايات الزمن القديم"<sup>(٢٨)</sup>، فقد شكل القصر والفيلا مكاناً معادياً لطارق، بسبب احتواءهم على شخصيات تذكره بماضيه، وسبب الانحراف الذي وصل إليه. في رواية (الموت يمر من هنا) نجد أيضاً بعض الأماكن التي لا تشعر الشخصية نحوها بالألفة، بل تشعر بالنفور والعداء، بما تبثه من مشاعر العداء، التي تجبر الشخصية على الإقامة بها، كما هو الحال في الأماكن السياسية كالسجون، " أه كم هو حارق هذا السجن .. هل يمكن أن أعيش بعيداً عنه في الغد القريب !! فصاح به رجل نقوس ظهره وذهب بصره :

-السجن في داخلنا متى ما خرجنا منه اكتسبنا حريتنا .

فصاح درويش :

-أنتم تتكلمون عن أحلام .. لا يمكن أن يصلح حالنا إلا بموت السوادي"<sup>(٢٩)</sup>، حيث يشكل سجن القلعة مكان معادي للشخصيات فأنها تحمل عدائها ليس للسجن فقط ، وإنما لمكان أوسع من أن يكون مكان هندسي ضيق بل أنه سجن نفسي ، وأن عدائهم ليس للسجن فقط بل هو لقرية السويداء ، فهو الكابوس الذي لا يمكن الصحو منه ، بسبب ما يمارسه السوادي عليهم من قمع وبطش .

- تأثير الشخصية على المكان: تعد الشخصية من أبرز العناصر التي تؤثر في تشكيل المكان بنفس القدر الذي يؤثر بها ، بسبب طبيعة العلاقة الجدلية التي تتيح لكل عنصر المساهمة في تكوين العنصر الآخر ، ويرتبط تأثير الشخصية على المكان بمدى قوة وسلطة الشخصية في الهيمنة على المكان ومدى قوة فاعليتها وثقافتها داخل الخطاب الروائي ، فوعي وثقافة الشخصية يلعب دوراً مهماً في تغير المكان لما يناسب حاجاتها ويرى ياسين النصير بأن الإنسان في بداية ظهوره على سطح الأرض كان تحت سيطرة المكان وتأثيره، ولكن بعد اتساع معرفته ، ووعيه ، واتساع إدراكه ، وخبراته جعل المكان طوع يديه ، وأصبح هو المسيطر حيث سير المكان بما يلبي حاجاته الإنسانية ورغباته ، فالعلاقة الجدلية التبادلية بين الإنسان والمكان ، تحمل دلالات ورموز مضمرة ، يصل من خلالها الكاتب لهدف معين<sup>(30)</sup>، فيكون الإنسان هو المحرك للمكان ويشكله ويمنحه طابعه الخاص الذي يلبي حاجاته<sup>(31)</sup>، وقد شغل موضوع تأثير الإنسان على المكان الأبحاث البيئية والنفسية ، فقد عمل الإنسان على تغير ملامح المكان الرئيسي ، وتطويرة من أجل تلبية حاجات إنسانية ، وتهنيته بما يتماشى مع طبيعة حياته وخدمتها<sup>(32)</sup>، فالأمكنة هي فضاءات مجردة من الروح والهوية ، إلا ما يطلقه عليها الإنسان من أسماء ، وغالباً ما يأخذ الأسم من شكل المكان " فأن القيمة التي يكتسبها المكان هي قيمة إنسانية بحتة ، فالإنسان قادر على منح الأمكنة والأشياء قيمتها وأبعادها الذهنية والماورائية وقادر على تغير ملامحها ، وتشكيلها وفق أنماط مختلفة"<sup>(33)</sup>، فالشخصية لها دوراً فعالاً ومؤثراً في المكان الروائي ، وقد جعل عبده خال لشخصياته دوراً في تهيئة المكان ، بطريقة فنية عالية فجعل الشخصية كائناً له السلطة في تشكيل فضاءه فطبيعة الشخصية هي التي تفرض تشكيل المكان الروائي بما يناسبها ويمكن ملاحظة بعض التأثيرات الشخصية التي أصابت المكان، إلا أنها قليلة بالنسبة لتأثيرات المكان على الشخصية داخل روايات عبده خال ففي رواية (فسوق ) نجد سلطة الإنسان متمثلة بالبلدية التي مارست سلطتها في تحويل (مقبرة الصبان ) إلى كراج للسيارات والمقاهي الأسترحة ، " وفي مداينة مكشوفة أزيل سور مقبرة الصبان ونشطت البلدية في سفلتها أرضيتها وتحويلها إلى موقف للسيارات المغادرة إلى اليمن وجزء منها إلى مقاهي يستريح فيه المسافرون المغادرون او القادمون"<sup>(34)</sup>، فالمقبرة مكان يتسم بالحزن

والصمت ، حولته السماسرة إلى مكان ملئ بضجيج السيارات والمقاهي فحولت صورة المكان من الموت الى الحياة غير أبهه بقدسية الموتى فتحول المكان من صمت المقابر إلى ضجيج الحياة وقد نجد تأثير الشخصية السياسة على المكان في رواية ( الأيام لاتخبئ احدا ) بتحويل المكان من آمن إلى مخيف ومن هادئ إلى ملئ بالمشاكل، كألاعصار قدم المأمور أبو العمائم ، فأقتلع كل شيء من مكانه واحال الحارة إلى دوامات من المشاكل ، التي لاتنتهي وأستطاع خلال فترة وجيزة ، أن يغير مسلك الحي ويقوده الى تغيرات جذرية غيرت نفوس القاطنين ولوثت كل شيء<sup>(35)</sup>، نلاحظ في هذا المقطع السردى أثر الشخصية في تغير المكان، من خلال ما يتمتع به من جبروت، وسلطة فبقدم المأمور الجديد خالد ابو العمائم ذهب الطمأنينة الحي ، تأثراً بأفعاله التي لوثت كل شيء، كما أنه غير شكل المكان ليس معنياً فقط بل حتى مادياً،" مالبت أن أقتطع أرضاً كانت وقفاً وأقام بها منزلاً فاخراً (..) وبلغ تسلطه أن شق طريقاً لسيارته بين تلك الأزقة الملتوية هاداً أجزاء من بعض البيوت ليكون ممراً لسيارته"<sup>(36)</sup> من خلال هذا المقطع السردى يتضح لنا أثر الشخصية في تغير المكان فقد قام بأستقطاع أرضاً وتحويلها تحت تصرفه وتلبية لحاجاته قام بإنشاء منزلاً فاخراً عليها ، كما أنه بلغت سلطته بشق طريقاً لسيارته من بين الأزقة الضيقة وتحطيم بعض المنازل البسيطةويمكن ملاحظة بعض التأثيرات الشخصية التي أصابت المكان، إلا أنها قليلة بالنسبة لتأثيرات المكان على الشخصية داخل روايات عبده خال ففي رواية ( فسوق ) نجد سلطة الإنسان متمثلة بالبلدية التي مارست سلطتها في تحويل (مقبرة الصبان ) إلى كراج للسيارات والمقاهي الأسترحة ،" وفي مدهنة مكشوفة أزيل سور مقبرة الصبان ونشطت البلدية في سفلتة أرضيتها وتحويلها إلى موقف للسيارات المغادرة إلى اليمن وجزء منها إلى مقاهي يستريح فيه المسافرون المغادرون او القادمون"<sup>(37)</sup>، فالمقبرة مكان يتسم بالحزن والصمت ، حولته السماسرة إلى مكان ملئ بضجيج السيارات والمقاهي فحولت صورة المكان من الموت الى الحياة غير أبهه بقدسية الموتى فتحول المكان من صمت المقابر إلى ضجيج الحياة. وقد نجد تأثير الشخصية السياسة على المكان في رواية ( الأيام لاتخبئ احدا ) بتحويل المكان من آمن إلى مخيف ومن هادئ إلى ملئ بالمشاكل، كألاعصار قدم المأمور أبو العمائم ، فأقتلع كل شيء من مكانه واحال الحارة إلى دوامات من المشاكل ، التي لاتنتهي وأستطاع خلال فترة وجيزة ، أن يغير مسلك الحي ويقوده الى تغيرات جذرية غيرت نفوس القاطنين ولوثت كل شيء<sup>(38)</sup>، نلاحظ في هذا المقطع السردى أثر الشخصية في تغير المكان، من خلال ما يتمتع به من جبروت، وسلطة فبقدم المأمور الجديد خالد ابو العمائم ذهب الطمأنينة الحي ، تأثراً بأفعاله التي لوثت كل شيء، كما أنه غير شكل المكان ليس معنياً فقط بل حتى مادياً،" مالبت أن أقتطع أرضاً كانت وقفاً وأقام بها منزلاً فاخراً (..) وبلغ تسلطه أن شق طريقاً لسيارته بين تلك الأزقة الملتوية هاداً أجزاء من بعض البيوت ليكون ممراً لسيارته"<sup>(39)</sup> من خلال هذا المقطع السردى يتضح لنا أثر الشخصية في تغير المكان فقد قام بأستقطاع أرضاً وتحويلها تحت تصرفه وتلبية لحاجاته قام بإنشاء منزلاً فاخراً عليها ، كما أنه بلغت سلطته بشق طريقاً لسيارته من بين الأزقة الضيقة وتحطيم بعض المنازل البسيطة

## الذاتة:

- برز اهتمام الروائي في تشكيل الشخصية داخل رواياته وانسجامها مع المحيط والبيئة التي تنتمي إليه .
- استطاع الروائي في جعل المكان عنصراً مهماً في تكوين الشخصية، فقد وظف بعض الأماكن في جعلها الدافع والمحرك لأفعال الشخصيات بما تبثه من شحنات تؤثر في بواطن الشخصية .
- العلاقة ما بين المكان والشخصية داخل الروايات علاقة متذبذبة بين الانتماء والنفور .
- جعل من الشخصية عنصراً فعالاً في تغير وتشكيل المكان، بما تمتلكه الشخصية من سلطة ونفوذ في تغير شكل المكان .

## الهوامش:

- (١)ينظر :الرواية والمكان ، ١٦ .
- (٢) بناء الرواية ،أدوين موير ، ٣٣ .
- (٣) تحليل الخطاب السردى، عبد الملك مرتاض ، ١٢٦ .
- (٤)ينظر :جماليات المكان ، يوري لوتمان ، ٦٣ .
- (٥) ينظر : جماليات المكان ، غاستون باشلار ، ٣٣ .
- (٦) ينظر : بنية الشكل الروائي ، ٣٠ .
- (٧) جماليات المكان ، غاستون باشلار ، ٣٨ .

- (٨) الموت يمر من هنا، ٢٠٤.
- (٩) ينظر: البناء الفني في الرواية العربية في العراق، شجاع مسلم الغاني، ٣٠٣.
- (١٠) الموت يمر من هنا، ٢١٣.
- (١١) مدن تأكل العشب، ١٨٦.
- (١٢) مدن تأكل العشب، ١١٨.
- (١٣) ينظر: الشخصية المستلبة واثرها في البناء السردى لرواية (وليمة لاعشاب البحر - نشيد الموت)، د. زينب عبد الامير، كلية التربية بنات-جامعة العراقية، مجلة مداد الآداب، العدد ١١، مجلد ٥، ٢٠١٥ م.
- (١٤) مدن تأكل العشب، ١٣٩.
- (١٥) م. ن، ٢٠٥.
- (١٦) الأيام لا تخبئ أحدا، ٩٨.
- (١٧) ينظر: علاقة المكان بالشخصيات في روايات هدية حسين، ١٥٩.
- (١٨) الايام لا تخبئ احدا، ٩٨.
- (١٩) ينظر: البناء الفني في الرواية العربية في العراق، ٣٠٤.
- (٢٠) فسوق، ٢٣.
- (٢١) أنفس، ١٥٠.
- (٢٢) صدفة ليل، ١٣١.
- (٢٣) ينظر: البناء الفني في الرواية العربية في العراق، ٣٢١.
- (٢٤) ترمي بشرر، ١٣٧.
- (٢٥) ترمي بشرر، ١٣٨.
- (٢٦) البناء الفني في الرواية العربية في العراق، ٣٢٩.
- (٢٧) ترمي بشرر، ١٢٨.
- (٢٨) م. ن، ١٦٣.
- (٢٩) الموت يمر من هنا، ٢٩٩.
- (٣٠) ينظر: إشكالية المكان في النص الأدبي، ياسين النصير، ٢٨.
- (٣١) ينظر: جماليات المكان في رحلة ابن جبير الاندلسي، م.م. احمد عبد الرزاق، كلية الاداب - الجامعة العراقية، مجلة مداد الآداب، عدد الاول، ٢٠١١ م.
- (٣٢) - ينظر: الإنسان والمكان، أ. د. ليث كريم محمد، مجلة ديالى، ٢٠٠٩ م، العدد ٤٠.
- (٣٣) - قضايا المكان الروائي: صلاح صالح، ٢٤٤.
- (٣٤) سوق، ٥٣-٥٤.
- (٣٥) الأيام لا تخبئ احدا، ١٦٨.
- (٣٦) المصدر نفسه، ١٦٩.
- (٣٧) ترمي بشرر، ٥٩.
- (٣٨) المصدر نفسه،
- (٣٩) المصدر نفسه
- المصادر:

١- خال، عبده، ٢٠٠٤ م، الموت يمر من هنا، منشورات الجمل، كولونيا-المانيا، الطبعة الاولى.

٢- خال، عبده، ٢٠١٠ م، نباح، منشورات الجمل، بيروت-لبنان، الطبعة الثالثة.

- ٣- خال، عبده، ٢٠١٧م، فسوق، دار الساقى، بيروت- لبنان، الطبعة الحادية عشر.
- ٤- خال، عبده، ٢٠١١م، ترمي بشرر، منشورات الجمل، بيروت-لبنان، الطبعة الخامسة . .
- ٥- باشلار، غاستون، ١٩٨٤م، جماليات المكان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية.
- ٦- خال، عبده، ٢٠١٩م، أنفس، دار الساقى، بيروت-لبنان، الطبعة الاولى.
- ٧- خال، عبده، ٢٠٢٠م، الصهرج، مركز الأدب العربي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية-الدمام .
- ٨- العاني، شجاع، ٢٠١٩م، البناء الفني في الرواية العربية في العراق، دار الشؤون الثقافية، الطبعة الاولى.
- ٩- خال، عبده، ٢٠٠٨م، مدن تأكل العشب، عبده خال، دار الساقى، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية..
- ١٠- خال، عبده، ٢٠١٦م، صدفه ليل، دار الساقى، بيروت-لبنان، الطبعة الاولى.
- ١١- صالح، صلاح، ٢٠١٩م، قضايا المكان الروائي، فواصل للنشر والتوزيع، سوريا، الطبعة الاولى.
- ١٢- جماليات المكان في رحلة ابن جبير الاندلسي، م.م . احمد عبد الرزاق، كلية الاداب - الجامعة العراقية، مجلة مداد الآداب، عدد الاول، ٢٠١١م.
- ١٣- الإنسان والمكان، أ. د ليث كريم محمد، مجلة ديالى، ٢٠٠٩م، العدد ٤٠
- ١٤- الشخصية المستلبة واثرها في البناء السردي لرواية (وليمة لاعشاب البحر- نشيد الموت)، د. زينب عبد الامير، كلية التربية بنات- جامعة العراقية، مجلة مداد الآداب، العدد ١١، مجلد ٥، ٢٠١٥م .
- ١٥- بناء الرواية، ادوين موير، ترجمة: ابراهيم الصيرفي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر .
- ١٦- بنية الشكل الروائي، حسن بحرأوي، الطبعة الاولى، ١٩٩٠م، المركز الثقافي العربي، بيروت-لبنان.
- ١٧- الرواية والمكان، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦م.